
بہجۃ الناظر

فی التوسل بالنبی الطاهر

تالیف

مخادم العلم الشریف

حسن السقاف

القرشی الهاشمی الحسینی الشافعی

١٤٠٥ھ - ١٩٨٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق نسوي ، والذي قدر مهدى ، والذي أخرج الرعى فجعله خطاء أسوي ، الغافل
لنبيه المكرم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ستفرك فلا تنسى ، أحمده سبحانه أن جعل نبينا أفضل الخلقين
على الإطلاق ، إذ أخذ سبحانه من جميع الأنبياء على أن يؤمنوا به ويصروه العبد والمخلد . وأشهد أن
لا إله إلا هو الملك الحق المبين المقرب بالخلق والتأثير والخير والنفعة للعالمين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده
ورسوله الصادق القويم الأمين والمبعوث رحمة للعالمين القائل : « إنما أنا رحمة مهداة »^(٢٢٥) ، اللهم صلِّ
على سيدنا محمد وعلى كافة الأضياء والمرسلين وآل كل وصاحب كل أجمعين .

أما بعد :

فهذه رسالة لأذكر فيها إن شاء الله تعالى أدلة التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم والاستشفاع به
خاصة ، وبالأضياء والصالحين عامة ، وبيان أن ذلك من الأمور المشروعات والتدريبات بخلاف ما يدعيه
بعض الناس في هذه الأزمان ، والله أسأل ونبيه أجور أن يعطينا خلاصة لوجهه الكريم ، وأن ينقذني وعن
وعاها لو نشرها إله جواد كريم .

ولقد جعلتها أربعة فصول :

— الفصل الأول : مقدمة في بيان قدره العظيم صلى الله عليه وآله وسلم .

— الفصل الثاني : في سرد أدلة التوسل بذات الأضياء عامة والتي خاصة وبجاههم ومنزلتهم عند الله
تعالى صلوات الله وسلامه عليهم إذ الصفة لا تشارك الموصوف .

— الفصل الثالث : في الاستشهاد بأقوال علماء الأمة وسفهاء الإسلام بما يروى توسلهم بالنبي صلى الله
عليه وآله وسلم .

— الفصل الرابع : في رد شبه مانعي للتوسل وبيان مخالفتهم للحق المبرح وذكر قاعدة عظيمة في
مصطلح الحديث في بيان أنه لا يجوز لأي إنسان أن يصحح لو يضعف حديثاً إلا أن يكون حافظاً^(٢٢٦)

(٢٢٥) رواه الحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً وقال علي بن عيسى في حقه والقرآن للمعنى وهو في مقدمة
الدارمي (٦٥) مرسلاً .

(٢٢٦) كنت أقول هذا في ذلك زمان تصنيف هذه الرسالة سنة ١٩٨٤ هجرية والآن أقول بأنه يجوز أن يصحح ويضيف كل
من تمكن ونويت صوته وإن لم يكن حافظاً بالمعنى المشهور ، وهذا ما نرى عليه الروي رحمه الله تعالى في القريب .

(٢٢٧) منها غيره بفتح الجيم مع ضم طلم أي المكان الذي سيهاجر إليه وهو المدينة المنورة .

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر ، فأكبل أعرابي ، فلما دنا قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أين تريد ؟ » قال : إلى أبي ، قال : « هل لك في خير ؟ » قال : وما هو ؟ قال : « نشهد أن لا إله إلا الله ورسوله لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله » ، قال : ومن يشهد على ما تقول ؟ قال : « هذه السمكة » — يعني السمكة — فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي بشاطئ الوادي ، فأقبلت تبعاً للأرض عتقا — أي شقاً — حتى قامت بين يديه فأشهد ما ثلاثاً فشهدت ثلاثاً أنه كما قال ، ثم رجعت إلى منبها ، ورجع الأعرابي إلى قومه وقال : إن البيعتي آنك بهم وإلا رجعت فكنيت سمك . رواه الدررسي والطبراني في الكبير وأبو جلي والبرزور ورجال الطبراني ورجال الصحيح^(٢٢٨) كما قال الخلفاء لعظمي .

ولما الأسحار وشهادتها :

فقد روى مسلم في صحيحه (٢٦٧٦) والدارمي في مستدركه (٦٠) وغيرهما بأسانيد صحيحة مسند حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول : إني لأعرف حصراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أتبع إني لأعرفه الآن^(٢٢٩) » . وفي مستدرك الحاكم عن سيدنا علي رضي الله عنه قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استنبله شجر ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله » قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه وأثره الخلفاء انتهى^(٢٣٠) .

(٢٢٨) انظر « مجمع الزوائد » ٢٩٢/٨ ر « جمع الزوائد » ، وستن الدرمي (٦٦) وهو حسن .

(٢٢٩) انظر « صحيح مسلم » ج ١ ص ١٧٨٧/٤ في كتاب الطهارة الحديث الثاني .

(٢٣٠) « المستدرك » ٦٢٠/٢ .

الفصل الثاني

بيان مشروعية التوسل وللهبه

اعلم برحمك الله تعالى أنه من الغريب جداً أن ينكر بعض من يدعي العلم وبخاصة علم الحديث الشريف (في هذه الأعصار) التوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواء كان ذلك قبل وفاته أو بعد وفاته لم في يوم القيامة^(٢٣١) . والحقيقة أن إنكارهم هذا لا دليل له مع معارضة للتصريح الصريحة الصحيحة كما سيتبين لك ، مع أن المسلمين علماءهم وعوامهم متفق عهده فتوة إلى هذا اليوم لا يزالون يتوسلون به صلى الله عليه وآله وسلم ويسألون الله بجاهه ، وهذا إذا أنقل لك ما استطعت أن أجده من الأدلة في مشروعية وللهبه التوسل بالنبي والأنبياء والصالحين ، ولا أدعي في ذلك أنني قد سيفت إلى شيء لم يستفي إليه أحد من قبل ، هذا مع قلة بضائعي وضعف حيلتي وما غلب عني من الألفة أكثر مما وجدته . وعني بهذا المصداقين أن التوسل جازر وسائغ عند أهل الحق ، وذلك على مقتضى الأدلة الشرعية التي وردت لنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس في ذلك أدنى شبهة بشرك كما يقول بعض الناس لأن الله تعالى هو الملعو وحده ولا شريك له في الخلق ولثأله حقيقة كل مسلم . ويجمع الأكله كلها ويمكنها دليلاً في ذلك حديث الشفاعة يوم القيامة المرفوع من أن الناس في الآخرة يستشفعون الله تعالى برسوله عليهم الصلاة والسلام ليأذن في فصل القضاء ويعتذرون واحداً حتى يرسلوا الأمر عند سيدنا محمد عليه وعلى آله الصلاة والسلام فيقول (أنا هنا)^(٢٣٢) ويجمع يسأل الله الإذن في فصل القضاء للمخلص من حر اللونف وشدة النار إلى الجنة وإيا إلى النار وهذه هي الشفاعة القطعية لله صلى الله عليه وآله وسلم وله بعد ذلك شفاعات عديدة وكثيرة مذكورة في الأحاديث الصحيحة . ومن شفاعاته في الدنيا بعد مرتبه صلى الله عليه وآله وسلم أنه يستغفر للمسلمين من أمته ، فمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وآله

(٢٣١) ولا حظ في لم اقل سواء كان حياً أم ميتاً لأنه صلى الله عليه وآله وسلم حي في كل أحياء عند ربهم يرزقون . والله صعب في ذلك رسالة نقلت فيها بعد ذكر الأدلة التي فيها الحديث الصحيح « الأنبياء أحياء في قلوبهم يصلون » كلام الخلفاء السني والمحقق القرطبي وابن القيم والسيوطي كما في كتاب (الروح) لابن القيم في الأنبياء والشهداء أحياء .
(٢٣٢) الشفاعة تأخذ بمقتضى الدلالات في القرآن والسنة ، لكن حديث الشفاعة الطويل هذا الذي رواه أنس بن مالك قد تفر وأني فيه الآن وأنا أراه موطوعاً وهو من الإسرائيليات وإن كان في الصحيح ، ولم تكتب عليه في التعليق على كتابنا لعلو للدعي فاربع إليه إن شئت .

وسلم : « حاجتي غير لكم قدامتون ويحدث لكم فإذا أنا مت كانت وهاهي غير لكم تعرض علي أعمالكم فإن رليت حجراً حدثت الله وإن رليت شراً استغفرت لكم » ورواه البيهقي قال الحافظ أبو الحسن قرر الدين الطوسي رجاله رجال الصحيح^(٢٢٣).

فمن ذلك يتضح لك أن ضاعته ليست مختصة بيوم القيامة فقط بل في الدنيا أيضاً بعد وفاته .

وليس لمن يتوسل بالتوسل والتشفع به صلى الله عليه وآله وسلم بعد مرته حملة صحيحة صريحة يصلح العملك بها إلا تضعيف الأحاديث الواردة في ذلك ولا حق لهم في ذلك كما سبق وتسمية الحق عن العوام بالغلظة .

فلما التوسل لمجناه لغة : التقرب ، وأما اصطلاحاً : فهو التقرب والتشفع إلى الله عز وجل بمنزلة نبي أو ولي أو بائط من النبي أو الولي الدعاء للمستشفع بهم أن يقضي الله حاجته بشرط أن يكون التوسل مؤمناً مقبلاً على الله راضياً .

قال الراغب في المفردات : « الوسيلة التوسل إلى الشيء برغبة وهي أحسن من الوسيلة لتفسيها بمعنى الرغبة قال تعالى : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَهَ الْوَسِيلَةِ ﴾ وخليفة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم التريفة وهي كالقربة ، والوسائل الراتب إلى الله تعالى » .

أقول : ويعتاد هذا المعنى من أهل العلم في ترسلهم منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني حيث يحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترسلًا في قصيدة متأني إن شاء الله تعالى في الفصل الثالث منها قوله رضي الله عنه :

بِكُمْ قَوْسٌ يَرْجُرُ الْغَوَّ عَنْ زُقَلٍ مِنْ خَوْفِهِ جَفَّةُ الْمَامِي لَقَدْ فَرَّقَا

والعلم أيضاً أرشدك الله للصواب أنه تقرر عند العقلاء أن الصفة لا تفك أو لا تفارق الموصوف فمن قال أنا أتوسل بمنزلة النبي ولا أتوسل بذاته فهو بعيد عن جادة العقل والصواب ، إذ كيف تفك الصفة عن الموصوف !!!

وأما الجاه فتعلمه أيضاً التوسل في محار المصالح :

« إلهاء القدر والتزلة : وظلان ذو جاه » .

لخصاً ذكرنا تبين لك أن التوسل والتشفع وطلب الشيء بمجاه وعسزلة النعم كنه بمعنى واحد .

١ - فأول ما يستعمل به على التوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثبوت الشفاعة له صلى الله عليه وآله وسلم فاعلم أن الحفاظ والمحدثين رحمهم الله تعالى ظفروا لنا في كتبهم أنه مما تواتر : التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعد ذلك الإمام المحدث الكاشي في كتابه « نظم المسائل من الحديث للتواتر » الذي جاء على كتاب الإمام الحافظ السرخسي ، وذكر أيضاً أنه ثبت وأجمعت الأمة على التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم في عرصات القيامة في حديث الشفاعة الطويل وقد رواه من الصحابة اثنا عشر رجلاً ، أنزل وإجماع الأمة على أن الشفاعة يوم القيامة هي توسل به كما نقل ذلك الأئمة دليل واضح جلي كبر على أن معنى التوسل التقرب لرضي الرحمن ذلك اليوم بمنزلة الأنبياء لسمع الله عز وجل في فصل القضاء وقد ثبت أيضاً بالأسانيد والآثار الصحيحة التوسل به قبل وفاته إذ لا فرق بين التوسل به قبل وفاته أو بعد وفاته ولا دليل - كما أسلفت - أن يمنع التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته .

٢ - ومستدل أيضاً بالتوسل بحديث سيدنا عثمان ابن حنيف الصحابي المشهور في قصة الأعمى فقد روى القزويني والنسائي والطبراني والحاكم والبيهقي بأسانيد صحيحة عن عثمان ابن حنيف وهو صحابي مشهور رضي الله عنه أن رجلاً خيراً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ادع الله أن يشفى لي فقال : « إنه شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير » . قال قاعده : فأمره أن يتربصاً فيحسن وضوئه ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك محمد بنی الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لنقضي ، اللهم شفعة في » . فبعد وقد أبصر .

وفي رواية قال ابن حنيف :

قرأته ما تفرغها وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضرر قط . وفي رواية الطبراني والبيهقي أن عثمان بن حنيف علم رجلاً أن يدعو بهذا الدعاء بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم وهي رواية صحيحة صحيحها الإمام الطبراني الحافظ ، وأقره الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد^(٢٢٤) واستفاد من حديث سيدنا عثمان ابن حنيف في قصة الأعمى قرأه منها :

قولا : أن الرجل جاء ظلي صلى الله عليه وآله وسلم يطلب منه أن يدعو له والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع له بل علمه دعاء يقول به بعد أن يتوضأ ويصلي ركعتين ويتوسل في الدعاء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله تعالى ، والقاعدة الأصولية تقول إن الموعود بموعود الملقط وأن الأمر عام

[٢٣٥] انظر « صحيح المروقي » (٢ / ٢٧٨) . ولم يذكر أحد من الصحابة على عثمان ابن حنيف عليه التوسل بذلك لرجل فيكون هذا الأمر مأثوراً عنهم على مشروعيه .

والذي صلى الله عليه وآله وسلم مشرع فاستفاد العلماء أن هذا الدعاء الذي فيه توسل هو ما يسمونه دعاء صلاة الحاجة فذكروه في كتبهم في باب صلاة الحاجة ولم يذكروا أن ذلك لا يجوز لكن يدعوا به مسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ثانياً : إن معنى التوسل هو التشفيع لقوله في آخر الحديث « اللهم شفيعني » أي اجعل شفيعاً لي شفيعاً أي قيل توسلي به . وهذا يؤكد تعريف التوسل الذي ذكرناه ، ويؤكد هذا أن في الحديث « يا محمد إني توجهت إليك » وليس كما زعم بعضهم أن معنى « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك ببيك » أي بدعاء نبيك !! لأنه ذكر بعد ذلك حمداً تأكيداً وتصريحاً بالتوسل به وسياق الحديث يعيد هذا الدعاء .

ثالثاً : لو كان التوسل فيه شرك أو شائبة شرك ما علمه نبي الله صلى الله عليه وسلم للأخص حين سأله أن يدع الله له ، فقد علمه التوسل به . وإجازة التوسل في حياة التوسل به لا بعد عنه لا يعتمد أصلاً شرعياً ، ولعل سيدنا عمر رضي الله عنه ليس فيه إلا التوسل بالمحيي وفعل الشيء لا يفتي ما عمده كما هو مقرر في الأصول ، على أن للعلماء توجيهات لتعلل سيدنا عمر بذكرها عند ذكر الحديث .

٣- ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » (٢٢٠) في الاستسقاء حديثاً في التوسل فقال : روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن أبي صالح السمان عن مالك بن أنس عن عمار بن عبد الله عن أصحابه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يا رسول الله استسق فأتهم قد هلكوا فأتى الرجل في المنام فقلت أنت عمر وأقربه السلام وأخبروه أنهم يستسقون .

وذكر الحافظ أن في إحدى روايات الحديث أن الرائي هو بلال بن رباح الصحابي المشهور و في ذلك تقرير من الحافظ على التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته وليس المراد الاستدلال بالرواية إنما المراد الاستدلال بالفعل ، فكيف فعل هذا الرجل لو هذا الصحابي هذا الفعل أمام الصحابة وأعرض سيدنا عمر ولم يذكره عليه ويصفوه بالشرك ؟ فهاهي الصلابة من الإقرار على الشرك حالهم ! وهم أحلم الناس بما يؤدي للشرك .

٤- وقد روي أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا دين غاطية بنت أسد أم سيدنا علي رضي الله عنهما : « اللهم مجني وحق الأنبياء من قلبي اختر لامي بعد لامي » رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم والطبراني في الكبير والأوسط وصححه . ورجال الحديث رجال الصحيح إلا روح

أن صلاح فيه ضعف لكن ذكره ابن حبان في « الثقات » ، وقال الحاكم : « ما يروى » ، لذلك كان الحديث حثاً ، فقد قال الإمام ابن حجر العسقي في « المجمع المصنف » : « هو مستحب جيد » .
ففي الحديث توسل صلى الله عليه وآله وسلم بالأنبياء من قبله وقد توسلهم الله تعالى .

« وفي صحيح البخاري (١٠٠٦) و (٣٧٩) أن عمر رضي الله عنه استغنى عام الرمادة بالعيش رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن قوله توسلاً به : اللهم إني كما توسل إليك تسلياً صلى الله عليه وآله وسلم ريثما توسل إليك بسم نبي » قال يسنون .

وذكر العلماء أن كتابه بالاستغناء بالعيش إذا لم يستغنى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان الدفع توهيم عدم جواز الاستغناء بشيء غيره ، والله الصلوة والسلام لا لحل الاستغناء بالنبي حجة ظاهرة إذ أن الصحابة توسلوا به صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته دون تكبر وقد أتينا بمثله في ذلك حينئذ عمر استغنى وتوسل بالعيش فبلغ توهيم عدم جواز التوسل إلا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإظهار شرف آل بيت النبوي ، وقد توسل سيدنا عمر رضي الله عنه بالعيش لكثرة أخرى وهي جواز التوسل بالفضول مع وجود الفاضل ، فإن سيدنا ومولانا علياً رضي الله عنه وأرضاه وقبله من صفة العيش قد توسل سيدنا عمر بالعيش طفاً للخط . وطفاً قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » عند شرح هذا الحديث : « ويستفاد من قصة العيش استحباب الاستغناء بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة وطفاً بفضل العيش وفضل عمر فتواطىء للعبار^(١٣٣) » اهـ .

ولم يقل الحافظ إنه يستفاد من هذا الحديث أنه لا يجوز التوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته .

وفي الحقيقة إن توسل الصحابة وشيوخهم كان بصفات العيش ، وبعبارة العباس ، إلا ذكر الحافظ أن في بعض الروايات مما قال العباس في دعائه : « اللهم إني أقدم ترجمي سراً بي إليك لمكاتي من ليك »^(١٣٤) فلو لا قربه ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للعب سيدنا عمر لغيره من آل بيت النبوة فمسلوه ، وميلتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

(١٣٣) انظر « فتح الباري » ١/ ٢٧٧ .

(١٣٤) انظر « فتح الباري » ١/ ٢٧٧ .

آل لكــي وسـبـلـي وهم إليه ذرعي
أرجو بهم أعطي علـاً ربي اليـسـين صـبـغـي

هذا رجميع ما لورعته من الأسانيد والأثار الصحيحة الصريحة في التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته في الحقيقة شرحاً لقوله تعالى : **فَمَنْ أَمَرُوا أَنُفْسِهِمْ جَاهِلُونَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ جِدُوا اللَّهَ تَوَلَّيَا رَحِيمًا** الآية خاصة في حياته قبل وفاته وبعد وفاته وما زال عمل العلماء على ذلك وقد ذكر العلماء المفسرون هذه الآية كالحافظ ابن كثير حكاية بعض المشهورين عند العلماء في التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته على سبيل الإقرار والارتضاء ، واستورد هذه الحكاية في الفصل الثالث من شاء الله تعالى وفي ذلك يقول الإمام ابن حجر الميمني في القصة التي نظمها في إثبات حياة الأنبياء التي نشر إلى معنى الآية :

ولولا أنه حي حي حي يندرك كما تلبس اللحوول
لما سمعت الشموس فيه خطاً نلسم حين تطلع أو تزلزل
وما كان الحجج إليه يسمي ويرجو أن يكون له قول

هذا وقد تجبنا على ما أرحنا من بيان الأدلة على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم واستحبابه وبالله تعالى التوفيق .

الفصل الثالث

في بيان أن المعتز الأعلام من أئمة و حفاظ الإسلام يؤسسون به صلى الله عليه وآله وسلم وأجروا ذلك واستحبوه

علم برحمت الله تعالى أن يؤيد أقوال الأئمة الصائمين في القوس موضح بما م سبيل إلى هذا م
به ذكره أحد من المتأخرين م ثم يجمع م قاله إذ هم يرجعون عليهم تعديلاً ، وهم الذين يؤيدون
حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابن م بعد أن رأوا أنه سألهم والمرجع إليهم فقال سبحانه
﴿ فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ وعمل أيضاً مرشداً لما أن ردة الأحكام إليهم ﴿ ولو رجعوه
إلى الرسول وإلى أئمة الأمر عندهم لعنده الذين ينتظرون منهم ﴾ فلا عذر بكلام من كان يريد
الاجتهاد في المسئلة ولا يريد أقوال المعتز ، فهناك أقوالهم وأقارهم في ذلك م

أولاً : أعلم أن الإمام مالكاً رضي الله عنه قال في الخطبة النورية لما حج بـ في النبي عليه وآله
الصلاة والسلام : إن مالكاً قائلٌ بـ م عبد الله ، استعين القبلة وأدعوا م أصعب رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وأدعوا م فقال الإمام مالك : ولم يصرف وجهك عنه وهو وسيدك ورسوله أياب آدم بن
الله تعالى بن حسين واستشجع به فيمنعه الله فيك قال تعالى ﴿ ولم أتهم إد ظلموا ﴾ أنفسهم جديرك
فاستظروا الله واستعصر لهم الرسول لوجود الله عوناً رحيماً ﴿ ذكر عنه النص الإمام الغامض عباس
في كتبه ما يند صحيح وسيد المصنف في حاشية الرد والعلامة العسطلاني في المراهب اللدنية
والعلامة ابن حجر في الميزان المنظم^(٢٢٤)

ثانياً : وذكر العلامة ابن كثير في تفسيره^(٢٢٥) وإمام الترمذي في كتبه الإصحاح^(٢٢٦) أن الإمام
التي في الإصحاح ،

بعد أن يستم الراي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم عمر رضي الله عنه يوجه
إلى ما فيه الأثر فقال وجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحسن به في حق نفسه ويشتجع به في
به سبحانه وتعالى ومن أحسن ما يقول م حكاه أصحابنا م أي القضاة م من القضاة مستحبون م

(٢٢٤) انظر كتابه في فضيلة الإمامين (٩٢٦) م شرح القضاة : مسجلت ملاء على التقاري (٢٢٦٠٣)

(٢٢٥) تفسير ابن كثير ١٦ - ٥ - ٥٦

(٢٢٦) انظر حاشية من سير علي الأصحاح في أنفاسك للديوب ص ١٩٨

قال كنت جالساً عند من الرائي حين أتته رؤيته وسمي معاه لعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله
 سمع الله يقول ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَنَنُوا أَنَّهُمْ سَاءُ مَا كُنتَ لَأَنفُسِهِمْ مَسْئُورًا﴾ واستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجود
 الله نواباً وحيماً ﴿وقد جنتك مستغراً من ذنبي مستغفراً بك يا ربّي ثم أتتاً بقول :﴾

يا خير من ذنبي يا كفاح أعظمه لظاب من طيبهن ألفاع والأكرم
 نفسي الغناء لخير من ساكنه فيه تعاف وله الجود والكرم

قال الخليل ثم انصرف الاعرابي لغيتي حين رأيت موت الله صلى الله عليه وآله وسلم في ايام
 فقال يا عني الحق الاعرابي وبشره بأن الله قد عرفه بعد
 رفاق الحافظ ابن كثير انها حكاية مشهورة

قالاً وقال الإمام الشافعي مترسلاً بأن النبي محمداً أحب وأمرنا كما في المصنفين لا بأس بحصر
 الخليلي

لأن النبي وسيدنا وحسن إليه ذرعتي
 لوجوههم أعطى غداً بيدي اليدين صديقي

وايضا رثب عن الإمام محمد أنه قال بسحب الخليلي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند
 القحط ، مذكور في كتب شامة في باب الاستعانة بكتابات « الإنصاف فيما ترجع من خلاف »
 (٢٠٦٤)

خامساً وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قصيدته
 وديوانه

باب جودك محمد مذهب كفا يا أحسن الناس وجهاً مشرقاً وقفا
 بكم نوسل بوجوه العفو عن ذل من خوفه جفنة الغامي لقد ذل
 وذن يكن مية حمري بل حجر لظلال فاض غلباً طيباً وصل
 راحلح ليسك قصور عنكم وعسى في الحيد يبدن من أياته غرقفا
 لا دل فيك مني ما حيت له لنا أوى لظنكي عنك منصرف

● انظر مجموعة القصائد الذهبية (٣٩١٦) وديوان الحافظ ابن حجر العسقلاني

سادساً وقال ابن حجر الخليلي في قصيدته المشهورة التي ذكرها العلامة الشيخ محمد حبيب الله

للمصطفى وغيره :

صِيْدَ هَيْمَيٍّ مُنْتَجِرٍ بِمَنْحِ حُطْبِكَ بِصِيَابِجَةِ الْحَمْسُولِ

سابعاً : وقال الخافظ ابن دقيق العيد في قصيدة له يمدح فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويترسل

يا خاتم الرسل المكرم فسأله من وإلى ملك يمدحه مستعظرا
لنا هيقك المدعو يوم معادنا المرتجي لأجعل قرأى الكوثر

ثامناً : وقال ابن حجر العسقلاني أيضاً كما هو في ديوانه بخط القلم :

اصدح بمدح المصطفى واصدح به قلب الخسود ولا تحف عبيدا
والصد له واسأل به تمط للنبي وتعيش بهما عشت فيه سحبا
عمر الأنعام فمن أرى جنابهم لا يدع أن أتبعي به مبعودا

انظر مجموعة القصائد الشبهانية (٥٧/٣) .

ثامناً : قال العلامة الطبري في « قبض القدير » (١٣٥/٢) قال الإمام الخافظ السبكي : « ويحسن التوسل والاستعانة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ربه ولم يذكر ذلك أحد من السلف ولا من الخلف » .

الفصل الرابع

في رد شبه مانعي التوسل

اعلم برحمك الله تعالى أن مانعي التوسل ليس لهم في الحقيقة حجة صريحة من القرآن أو صحيحة من السنة بل ربما ذكر أحدهم قوله تعالى في كفار قريش وهم يعبدون الأصنام : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ . والجواب عن الآية الشريفة أن أولئك عبدوا الأصنام فسجدوا لها وانخلوها آلهة وعحسن لم تتخذ الأنبياء والأولياء آلهة ولم نعبدكم لذلك قال تعالى بصف عبدة الأوثان : ﴿ وَاتَّقُوا مِنْ دُونِهِ آلهَةً ﴾ فسقط احتجاجهم .

وفي الحقيقة هم يتكبرون بالتوسل من أربع طرق :

الأولى : تضعيف الأساميث قولودة في التوسل وليسوا أهلاً لذلك كما سنذكر في القواعد المذهبية في هذا الفصل إن شاء الله تعالى .

الثانية : تأويل الأحاديث وصرفها تأويلاً باطلاً وبغائية .

الثالثة : اختصامهم على الرأي الفاسد في إبطال الأحاديث فإذا مر بهم حديث لا يوافق لغواهم قالوا هذا الحديث لا يقبل العقل والرأي ، وكان علم الحديث عامح لمقولهم بما قبله عقولهم فهو صحيح وما لم يقبله عقولهم فليس بصحيح .

الرابعة : إيراد أحاديث باطلة برددها بعض من يتسب إلى الصوف زوراً وبهتاناً . ويبتزون أنها باطلة فيظن الجاهل أنه إذا اتضح أنها باطلة موضوعية ثبت منع التوسل وحيثات ونحن نعلم لك مسند الطرق الأربعة :

أما طريقهم الأول وهو تضعيفهم للأحاديث الصحيحة فورد لك مثالان :

١ - حديث سيدنا عثمان بن حنيف حينما علم رجلاً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه يدعو بالدعاء الذي سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفداء حاجته وقد رواه الحافظ الطبراني وصححه وأقره عليه الحافظ أبو الحسن الهيثمي كما في « مجمع الزوائد » (٢٢٩/٢) وضعف صاحب كتاب « التوحيل للحنيفة التوسل » صحيفة (٢٢٧) بمجمع وإمية وهو ليس أصلاً للصحيح ولا للتضعيف .

٢ - حديث عبدالله بن مسعود مرغوعاً « حياني سيول لكم ... » الحديث .

ذكر الحافظ أنه صحيح رواه البيهقي ، وقال الحافظ أبو الحسن الهيثمي في « مجمع الزوائد » رحمه رجال الصحيح . وقد ذكر الحافظ البيهقي في الجامع للصفحة أنه رواه الخليل في مسنده بسند ضعيف وابن سعد في الطبقات بإسناد حسن مرسل ، وقاده ابن البراء قد رواه بسند صحيح كما في « شرح الجامع » حيث تعقبه العلماء فاعتزم ذلك متكرراً التوسل وعلموا أن النبي يتكلمون عن مراجعة عتاة الحديث في شرح الجامع فقالوا : هو حديث ضعيف ومرسل فلا يحتج به كما في الفتح الربيعي « الإسلام والفيل في الدين » وهي عبارة علمية غير مستغربة من هؤلاء .

وأما طريقهم الثاني وهو تأويلهم للأحاديث تأويلاً باطلاً مخالفاً للحقيقة فتشابه حديث الأعمى أيضاً حيث جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يطلب منه أن يدعو له فيرد الله عليه بصره فلم يدع له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل علمه شيئاً آخر بعدما قال له :

« إن شئت دعوت وإن شئت صوت » . وقال له : « اذهب فاحسن الوضوء وصل ركعتين ثم قل اللهم إني أترجى إليك مني الرحمة يا محمد إني أترجى بك إلى ربِّي في حاجتي فتعطني اللهم شئاً في » . أي : أقبل توسلي به ، وهم يقولون إنه لم توسل بالنبي إنما توسل بدعاء النبي ! وأحضر الحديث يقتضي ما قالوا فيها تأويل باطل ، لا يضمن ولا يبيح من جموع .

وأما طريقهم الثالث وهو اعتمادهم على وزن الحديث بأروامهم فإن قيلت أروامهم ذلك مستحسن،
والا حكموا بضغفه أو بوضعه .

فقد قال صاحب كتاب « التوصل » صحيفة (٢٢٤) في حديث الطبراني في قصة الأعمى : أن هذا
الحديث صحيح في الصدقة في تركيب وترتيب الأفكار الواردة فيه ١١ فلو فجع للتوسع .
وأما طريقهم الرابع وهو إيراد الأحاديث الموضوعة التي يجمع بها بعض عوام المتصوفة من غير العلماء
ويبان أنها موضوعة ليظن العوام أن لحلة التوصل هُتبت فيستدلون أنه غير جائز .
فقد ذكر في الكتاب المسمى « الإسلام والفكر في الدين »^(٢١١) صحيفة (٢٢) حديث « توصلوا
بماهي فإن جاهد عند الله عظيم » وبنوا أنه موضوع وهو كذلك لوجهين القاريء بأن أدلة التوصل
هدمت ببيان وضع هذا الحديث .

الخاتمة

هذا وأنتزم هذه الرسالة بعون الله تعالى بقاعدة عظيمة ينبغي معرفتها والتمسك
بها إذ بها يؤتم تصحيح والتضعيف من يدعي علم الحديث وهو ليس
بأهل لذلك في هذا الزمان وغيره .

وملتصفا : أنه لا يجوز لغير الشك الناصر قوي المعرفة في الحديث وحلوه أن يصحح حديثاً بعد
رأس ابن الصلاح شيخ النووي ولا يجوز للمخالف أن يضعف حديثاً بعد ابن الصلاح^(٢١٢) .
الأحاديث التي لا تختص كأحاديث النصوص الموضوعة أو ما قبله بخلافه للعقل والإجماع ، يخص هذه
القاعدة للمخالف السيوطي في آئيته في المصطلح حيث قال :

وعنده حيث حافظ عليه نص ومن تصنف بجمعه يخص

قال السيوطي والمخالف هو من جرى مثله ألف حديث حفظاً وفهماً رواية ودراسة مع علمه بأسانيدها
ورخاها منه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي ذلك قال بعضهم :

(٢١١) وصاحب المؤلف فيما بعد « أروامهم لم كتاب وسنة » بعد أن طبعه حديثاً لوجهين أنهما ألفاً كتاباً حديثاً في الفكر
الروائي الذي يكتفه به علماء ريفاتيين عليه أسراً ١١

(٢١٢) كما تقول ذلك في أثناء الطلب ونحن الآن نخالف ابن الصلاح في ذلك فنقول بأنه يجوز لمن يمكن وتوفرت شروط هذا
الخص أن يصحح ويضعف وهو عمل للمخالف والمحدثين بعد ابن الصلاح . فقد علقوه ولم يلتفتوا له إلا قال وإن نالتوا
مبارته نظراً في كتب المصطلح فإن القوه عليها من جهة مخالفتهم عليها من الجهة الكبرى .

ومن جوى مائة ألف مطلقا هلبه لفظ حافظ لد اطلاقا

كما ذكر في « رفع الأسرار عن مباحها طلبة الأئمة » صحيفة ٩ .

وقد أثنى العلماء بالتصحيح التحسين فذكروا أنه يجوز للحافظ أن يحسن ، ثم أختصوا التوضيح بالتصحيح فذكروا أنه لا يجوز للحافظ أن يحكم بالوضع على حديث بعد زمن ابن الصلاح قاله حاصل كما قال الحافظ جلال الدين السيوطي في « تدريب الراوي » (١/١٤٩) أن ابن الصلاح سد باب التصحيح والتحسين والتضعيف على أهل هذه الأزمان لضعف أهلهم ولم يوافق ابن الصلاح على الأول — أي التصحيح — ووافقوه على الثاني وهو التضعيف .

وان أردت التوسع في المسألة والإحاطة بها أكثر فانظر « تدريب السراوي » (١/١٤٩-١٤٩) و « فتح المغيث شرح ألفية الحديث » للحافظ السخاوي (١/١٤٩-٢٥ و ٨٩) الملقبة الأخيرة في الصحيفة .

وبالله تعالى حسن الختام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . فرغت من كتابته يوم الخميس ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة خمس وأربع مائة وألف . راجد رب العالمين .

قال السيد العلامة ابن عبد الله السلف :

ومعروض لال من غير تصور	عهدناك حرباً لأهل السرور
حسن التكبير لحرب القصور	لما لك حكر هذا الصنيع
لقلت استمع حربي يا بلقيس	وهل تقاسي السوى بالخطيئ
على أن من كان جزل القريض	مراعى الخافز لأهل البديع
فما لي التوسل له من ملام	ولا لي مناجاة ما حي الظلام
وراجع كلام ابن عبد السلام	هزبر الجوارف شيوخ الجميع
وهذه الأدلة تكفي القطين	ومن لم تلبده لحي فيه طين
وشوط الأدلة عدي بطين	ومسبك هذا لئلا تصيع